بسم الله الرحمن الرحيم

والسبب بأننا عينا التاريخ أننا كنا ولله الحمد والمنة والفضل في العام الماضي ، ونحن على قبيل شهر الحج توقفنا عند هذه الآيات وقلنا إن شاء الله تعالى نكمل في العام القادم حتى يتيسر عرضها قبل دخول أشهر الحج أو مع دخول أشهر الحج وكنا في اللقاء الماضي قد انتهينا إلى سورة الأحزاب إلى قول الله جل وعلا في حق أمهات المؤمنين : (وقرن في بيوتكن) فالآن نجيء الحديث في سورة الأحزاب ونعود إلى سورة البقرة والغاية من هذا كله إن قدمنا أو أخرنا نفع الناس نسأل الله أن ينفعنا وينفع غيرنا بما نقول.

قال الله جل وعلا وهو أصدق القائلين : (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث و لا فسوق و لا جدال في الحج) قبيل أن نشرع فيها نبين سبقت هذه الآية آية تقول : (يسألونك عن الأهلة) فجاء الجواب القرآني : (قل هي مواقيت للناس والحج) فأشعر قول الله أ ن الأهلة مواقيت للناس والحج على أن أشهر الحج طوال العام لأن كلمة (قل هي مواقيت للناس والحج) العائدة على الأهلة والأهلة طوال العام يشعر أن جميع أشهر السنة أشهر حج وهذا غير صحيح فهنا ذلك الإشعار الذي يظهر لك بادي الرأي أنه عام هذه الآية أشبه بالموضحة له ، وبعض أهل العلم يراها أنها مخصصة لذلك التعميم ، أي تعميم ؟ الذي قال الله فيه: (يسألونك عن الأهلة قل والحج) فهنا لم يحدد أن أشهر الحج محددة لكنه هنا قال :

(الحج أشهر معلومات) ومعنى الآية : وقت الحج أشهر معلومات ، تلحظ أيها المبارك ومن المهم أن تفقه مراد الله أن الله جل وعلا هنا لم يذكر لنا ما هي أشهر الحج واكتفى بقوله جل شأنه : (أشهر) ماذا ؟ (معلومات) جمع معلوم أي معروف لا يكاد يجهلها أحد، في حين أن الله جل وعلا لما ذكر الصيام قال: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) ثم قال بعدها بآيات (شهر رمضان) لماذا عين؟ هنا لم يقل شهر شوال شهر ذي القعدة شهر ذي الحجة لأن رمضان لم يكن معروفا آن ذك بأن يصام فالعرب لا تعرف صيام رمضان في الجاهلية ، لكن العرب في الجاهلية تعرف ماذا ؟ تعرف الحج وكانت تحج وتعتمر لكن كانت له شركيات مع أصل حجهم الذي أخذوه إرثا عن إبراهيم عليه السلام ، فقول الله جل وعلا : (أشهر معلومات) يحيل إلى شيء معروف في الذهن والتعبير بقوله جل وعلا: (أشهر) هذا جمع قلة والعرب إذا جمعت جمع قلة من ثلاث إلى تسع تأتي على وزن[أَفْعَلْ]، تقول: "نجم" . فجمعها جمع قلة ماذا .؟ "أنجم" ، "وشهر" جمعها جمع قلة ماذا ؟" أشهر" ، أما" نجم" جمعها جمع كثرة" نجومـ" ، (فلا أقسم بمواقع النجوم) و"الشهر" جمعها جمع كثرة "شهور" قال ربنا : (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) فلما قال: اثنا عشر شهرا قال: (إن عدة الشهور) لم يقل (إن عدة الأشهر) وهذا الكلام يسمى تحت باب: (الصناعة الصرفية) لأننا قلنا إن الكلام في الكلمة نفسها يسمى صناعة صرفية أما الكلام في الكلمة وسط الجملة(صناعة نحوية) ، الحديث عن كلمة في سياق الجملة تسمى صناعة نحوية ، أما الكلام عن أحرف الكلمة وأوزانها في ذاته هذه تسمى صناعة صرفية .

قال ربنا: (الحج أشهر معلومات) مع ذلك اختلف فقهاء الملة – رحمهم الله – في تحديد الأشر الملومات على أقوال ثلاثة :

1. إن أشهر الحج هي: (شوال – وذو القعدة – ومن الأول إلى التاسع من ذي الحج ، من أول ذي الحجة إلى التاسع منه) وحجة هؤلاء ظاهرة أين مكمنها – وهذا منهج الإمام الشافعي رحمه الله - ؟
يقولون إن الحج يفوت بفوات يوم عرفة بالاتفاق بين المسلمين ، أن المؤمن إذا فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج قالوا:
فلا معنى إذا أن نقول من يوم عشرة إلى يوم ثلاثين من أشهر الحج وصاحبها إن لم يقف بعرفة فاقه الحج فجعلوا أشهر الحج:
(شوال وذو القعدة وإلى التاسع من ذي الحجة) .
2. القول الثاني : أن أشهر الحج : (شوال وذو القعدة وإلى العاشر من ذي الحجة) ، وحجة هؤلاء أن الله سمى العاشر من ذي
الحجة بيوم الحج الأكبر ، لأنه فيه من شعائر الحج ما ليس في غيره، ففي العاشر من ذي الحجة رمي جمرة العقبة والنحر والحلق وطواف الإفاضة وهذه الأربعة لا تجتمع إلا في عاشر ذي الحجة، فقالوا –

أصحاب هذا القول - : ليس معقولا أن نقول إن عاشر ذي الحجة ليس من أشهر الحج وهذه الأعمال كلها فيه ، واضح الدليل .

3. القول الثالث والأخير : قالوا: (شوال وذو القعدة وذو الحجة بكامله) وحجتهم أن أقل ما يطلق عليه الحج حجا كلمة الأشهر أقل ما يطلق عليه في الجمع ثلاثة .

نلحظ من هذه الاختلافات أنهم متفقون على أن شوال وذو القعدة من أشهر الحج ، فلو أن إنسان أحرم بالعمرة في رمضان ولم يرجع إلى بلده ثم بدى له أن يحج هل نلزمه بالتمتع ؟ لا نلزمه لأن عمرته لم تكن في أشهر الحج ، لكنه لو اعتمر في يوم العيد وبقي في مكة ثم أهل بالحج فهو متمتع ما لم يرجع إلى دويرة أهله ، أو إلى إحرامه الحقيقي ، لأن دويرة أهله المقصود بها هنا إحرامه الحقيقي ليست على إطلاقه فنأتي بمثال : رجل من أهل مصر يسكن الرياض أو يسكن المدينة ثم إنه أحرم في شهر شوال بالعمرة فاعتمر ورجع إلى مقر عمله في الرياض أو في المدينة وهذا يعتبر رجع إلى دويرة أهله لأن عمله وميقاته الأصلي على أنه من الرياض أو من المدينة ولا علاقة لنا ببلده الأصلي وهو مصر ، على هذا قال الله جل وعلا : (الحج أشهر معلومات) ثم قال ربنا، طبعا الحج في اللغة : القصد . لكنه هنا: قصد مكان من أجل التعظيم ولا يسمى حجا إلا إذا كان قصد ذلك المكان للتعظيم والمكان هنا بيت الله الذي هو الكعبة ، قال الله : (وليطوفوا بالبيت العتيق) وهذا ظاهر .

قال ربنا : (الحج أشهر معلومات) قلنا التقدير ماذا ؟ وقت الحج أشهر معلومات حتى يأتي الذي بعده ، فقال ربنا بعده :

(فمن فرض فيهن) أي في هذا الوقت (فمن فرض فيهن الحج) أي ألزم نفسه بالحج ، والحج خامس أركان الإسلام كما هو معروف ، هو ثابت ركنا بالكتاب والسنة .

قال الله تعالى : (ولله) هذه دلالة إيجاب (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) فالاستطاعة شرط في إلزام المرء بالحج، إضافة إلى الشروط التي تكون غالبا في جميع العبادات : من الإسلام والعقل والبلوغ ، لكن الاستطاعة في الوصول إلى البيت شرط في إلزام العبد له ، وهذه الاستطاعة فسرت:

- بالزاد والراحلة، وفسرت بغيرها .
- والصواب أن تفسر: بكل ما يمكن أن يبلغ بالمرء بيت الله الحرام على إطلاقه .

لأن هذه القضايا مثلا الزاد في عصرنا قد لا يحتاج إليه المرء كثيرا لأنه يوجد كثير من الصدقات لكن لا يلزم المرء بالصدقات سنأتي بلطيفة هنا في التفسير قبل أن نشعر في معنى قول الله تعالى : (فمن فرض فيهن الحج)في قضية الاستطاعة لو أن إنسان سئل أن فلان من الناس لا يملك مالا حتى يحج والحج الآن متفقون الناس على أنه من طريق الشركات فيأتي إنسان لا يملك مالا حتى يحج لا يملك درهم فالحج ركن ، لكن هذا الرجل لا نستطيع أن نلزمه بالحج لأنه لا يملك المال أي أنه عاجز ، عاجز ماليا لا بدنيا ، فلو جاء إنسان من الناس وقال له كم يكلف الحج ؟ فقلنا إن الشركات المتوسطة تأخذ مثلا أربعة آلاف قال: هذه سبعة آلاف ليس فقط أربع آلاف سبعة آلاف ثمانية آلاف الضعف وحُج ، السؤال يا بني هنا :

هل يصبح الحج في حقه واجب ، هل يلزمه الحج أو لا يلزمه ؟

لا يلزمه ليس شرطا أن يقبل إلا في حالة واحدة إذا كان المعطي الابن ، إذا كان المعطي إبنك هو الذي أعطاك على قول الشافعي لا على قول الجمهور ، لماذا ؟ لأن الأول فيها شيء من المنة وأنت حر تقبل أو لا تقبل أما إبنك إذا أعطاك ليس فيها منة لأن ابنك من كسبك ، ابن المرء من كسبه ، فلأن ابنك من كسبك تنتفي هنا المنة ،و احفظ بيت شعر :

قبول ما يهدى إليك سنة *** والترك أولى إن رأيت المنة

أي إن غلب على ذهنك أنها منة فلا تقبلها .

قبول ما يهدى إليك سنة ** والترك أولى إن رأيت المنة

ثم على قول الشافعي رحمه الله: يصبح ملزم بالحج إذا كان المعطي من ؟ ابنه خلافا للجمهور ، الجمهور على أنه مخير مثله مثل غيره ، لكن الشافعي هنا فيما يغلب على ظني أنه قوي جدا لأننا بينا أن ابنك من كسبك ، ولذلك سفيان لا أذكر هل هو سفيان الثوري أو ابن عيينة أحد السفيانين كلاهما حجة حافظ مجتهد مجمع على جلالتهم ، كان يقول:

(أقبل هدايا السلطان ولا أقبل هدايا الإخوان)، فقيل له لماذا ؟ قال :" لأن الأخ يمن والسلطان لا يمن" .

يعني أخوك إذا أعطاك كل أسبوع اسبوعين يذكرك ، لكن السلطان يعطيك ويعطي غيرك ولا يدري أنه أعطاك ينساك ، ولا يمن عليك فكان يقول : "أقبل هدايا السلطان ولا أقبل هدايا الإخوان ".

والناس يختلفون وليست هذه قاعدة مطردة ، و الإنسان بحسب حالته ، فلا نقول لمن يقبل لا يجوز أن تقبل ولا نقول لمن يرفض لا يجوز لك أن ترفض ، فأحوال الناس ووضعهم في المجتمع يختلف ومن يعطى خفية غير الذي يعطى علنا ولا يوجد لها ضابط ، لكن عموما القاعدة جميلة :

قبول ما يهدى إليك سنة *** والترك أولى إن رأيت المنة

نعود للآية قال ربنا: (فمن فرض فيهن) أي في هذه الأشهر الحج (فلا) " لا" هذه عند النحويين لا نافية للجنس ، تعمل عمل إنّ وأخواتها فتنصب الاسم وترفع الخبر ، (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)
الرفث : الجماع ومقدماته ، ومن الصناعة الفقهية أنه لا يوجد شيء يفسد الحج إلا الجماع ، (ولا فسوق)
الفسوق : العصيان ، وأصله كلمة معناها الخروج عن طاعة الله .

(ولا جدال) أي لا مماراة ولا نزاع في الحج . (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) ولا ريب أن من أراد أن يقدم على بيت الله ينبغي عليه أن يقدم قدوم الخائف الوجل المشغول بذنبه الراجي عفو ربه المؤمل من الله جل وعلا بالقبول ليس مشغول بمن حوله ومن يطلق النكات ها هنا وهناك، وينازع الناس في الدينار والدرهم ، أو أن يتخذ شركة ينجم من خلالها جمع أموال الناس وأخذها بالباطل ، أو أن يبحث عن صدارة وشهرة فيتكلم في وقت وحين يرجوا أن يشر إليه بالبنان،

أو ينجده الإخوان أمور كثيرة تحدث من أغاليط لكن الإنسان يتبع هدي نبويا ، الذي تركه النبي صلى الله عليه وسلم أمته ويخلص لله جل وعلا، (فلا رفث ولافسوق ولا جدال في الحج) الرفث إذا وقع وهو الجماع يفسد الحج ، أما الفسوق المعصية ما لم تكن شركا والجدال هذا لا يفسد الحج لكنه يقلل من أجره ، ثم قال الله جل وعلا :

(وما تفعلوا من خير يعلمه الله) " ما " هنا يا بني شرطية وفعل الشرط " تفعلوا " وجوابه " يعلمْه " ولذلك جاءت يعلم ماذا ؟ مجزومة ، (يعلمْه الله) ثم قال الله جل وعلا : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) أول ما يتبادر للذهن والإنسان قد فرض على نفسه الحج الزاد الذي يحتاجه ، فلما كان الحج سفر إلى مجمع عظيم وهو يوم عرفة ذكّر الله جل وعلا بالسفر الحقيقي إلى يوم لقائه إلى يوم العرض الأكبر فنبه إلى الزاد الحقيقي مجموعين في ذلك اليوم وهو تقوى الله قال سبحانه :

(وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) ثم قال ربنا : (ليس عليكم جناح) الجناح : الإثم .

(ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) سبب النزول : أن العرب كانت تتحرج من التجارة في الحج وتتأثم من التجارة في الحج فبين الله جل وعلا أن لا حرج في ذلك فقال جل شأنه وهو المُشَرِع : (ليس عليكم جناح ن تبتغوا فضلا من ربكم) ثم قال سبحانه : (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين) ما عرفات ؟ بقعة .

لماذا سميت عرفات ؟ قيل فيها عدة أقوال:

- من أشهرها أن آدم عليه السلام التقى بحواء فيها فعرفها .
- هذا قول وقال آخرون : أن جبريل عليه السلام عَرّف إبراهيم الخليل عليه السلام المناسك في عرفات .
- واختار ابن عطية – رحمه الله – أنه اسم وضعي لا سبب له ، هذا ابن عطية قال : انه اسم وضعي لا سبب له .

التوين في عرفات من حيث الصناعة النحوية تنوين مقابلة لا تنوين تمكين ، طبعا عندما أقول تنوين مقابلة لك أن تسأل مقابلة لماذا ؟ وإلا يصبح الكلام مجرد قبول ، من يشاهدني قد يكتبها قال الشيخ تنوين مقابلة ، ولو جاء أحد يقرأ ورقته قال ما معنى تنوين مقابلة ؟ يقول هكذا قالها الشيخ هذا ليس بعلم . تنوين مقابله هذه التنوين تقابل شيء آخر تقابل ماذا ؟ تقابل النون في جمع المذكر ، أعيد مسلم يا بني ما جمعها ؟ مسلمون و هذه النون دلالة جمع يقابلها في جمع المؤنث ، عرفاتٍ على أن التنوين تنوين مقابلة أي هذا التنوين في الاسم المؤنث بدل ومقابل للنون في جمع المذكر بدل ومقابل لماذا ؟ للنون في جمع المذكر، لماذا قلنا أنه تنوين مقابلة وأصررنا ولم نقول أنه تنوين تمكين ؟ لأن تنوين التمكين لا يلاحق الأسماء غير المنصرفة ، وعرفات اسم غير منصرف في الأصل لسببين ،عرفات اسم غير منصرف لأنه محال أن تلحقه نون التمكين لسببين هما:

1. العلمية .
2. والتأنيث.

(فإذا أفضتم من عرفات) المشاعر منى انتهينا من مكة نفسها ، منى ومزدلفة وعرفة ، فمنى ومزدلفة مشعر وفي نفس الوقت حرم ، وعرفة مشعر لكنها ليست بحرم حِلْ ، وعرفات مشعر عظيم لكنها ليست بحرم حِلْ بخلاف منى ، وبخلاف مزدلفة ، وادي مُحَسِّر حَرَم لكنه ليس بمشعر ، هذه يجب أن تتنبهوا لها .

قال الله تعالى : (فإذا أفضتم من عرفات) خير من وقف بعرفة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وجابر رضي الله عنه وأرضاه في حديث في صحيح مسلم قص علينا حجته صلى الله عليه وسلم وهي طويلة ليس هذا موطن سردها ، لكن قلت مرارا هناك ثلاثة أمور ثلاثة مواطن :

نمرة ، وعُرَنَة ، وعرفة ، كم ؟ ثلاث ، ما هي ؟ نمرة وعرنة وعرفة ، النبي صلى الله عليه وسلم نزل في نمرة ، وأين خطب وصلى ؟ في عرنة ، وأين وقف ؟ وقف في عرفة .فالوقوف الذي يجزئ الوقوف في ماذا ؟ في عرفة ، فنمرة قرية شرق عرفات ، وعرنة وادي يمر من بطن عرفة يأتي من جهة عرفات ، قال جابر : فوجد القبة قد ضربت له بنمرة صلى الله عليه وسلم ، ثم قال جابر : "ثم أتى بطن الوادي

فخطب الناس وصلى" . أي وادي يا جابر ؟ وادي عرنة ، ثم قال :" أتى الموقف" ، أي موقف ؟ في عرفة وقال : "وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف". والله هنا يقول : (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) في اللقاء القادم إن شاء الله تعالى سنكمل تفسير هذه الآيات ونبين ما هو المشعر الحرام؟ وتتمة الآيات التي بعدها .

هذا ما تيسر إيراده وتهيأ إعداده وأعان الله على قوله وصلى الله على محمد وعلى آله والحمد لله رب العالمين .